الرابطة الإسلامية والرابطة القومية

ملخص حديث للأخ عصام العطار

تحدث الأخ عصام أولاً عن الرابطة القومية وعن مقوماتها الأساسية في نظر القوميين فقال : إنّ مفكري القوميـــة العربية يكادون يجمعون على أن المقوّم الأول للقومية هو اللغة والمقوّم الثاني هو التاريخ ثم تأتي في نظرهم بعد ذلـــك مقومات ثانوية يختلفون في تحديدها ، منها الدين والإرادة المشتركة .

أما اللغة فهي حياة الأمة ، إذا فقدت الأمة لغتها فقدت حياتها وفقدت وحدتها .

وأما التاريخ فهو شعور الأمة ، فإذا فقدت الأمة تاريخها فقدت شعورها بشخصيتها ووحدتها ، وهو ذاكرة الأمة يصل ماضيها بحاضرها فإذا هي فقدته أو نسيته انقطع الحاضر عن الماضي ، كما يقول شوقي :

مثـــــل القـــــوم نـــــسوا تـــــاريخهم كلقـــــيط عـــــيَّ في النـــــاس انتـــــسابا
أو كمغلـــــــوبٍ علـــــــى ذاكـــــــرةٍ يـــــشتكي مـــــن صـــــلة الماضـــــي انقـــــضابا

وأما الإرادة المشتركة فهي أن يريد أبناء الأمة أن يكونوا مع بعضهم كياناً واحدا .

ثم تحدث الأخ عصام عن الرابطة الإسلاميّة فقال :

إنها رابطة الإيمان بالله ورسوله

﴿ ...**الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ... ﴾ [الأنفال : ٧٣]

﴿ **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ** ... ﴾ [التوبة : ٧١]

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ... ﴾ [الحجرات : ١٠]

ثم قال :

إنّ هذه الرابطة في نظر الإسلام مقدمة على كل رابطة : قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آَبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيــمَانِ وَمَــنْ يَتَــوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْــوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُــمْ وَعَــشِيرَتُكُمْ وَأَمْــوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة : ٢٣-٢٤]

ثم قال الأخ عصام :

بعد أن قررت أن الرابطة المعتبرة في نظر الإسلام هي رابطة الإيمان ، رابطة الإســـلام نفـــسه ، أود أن أقـــرر أن الإسلام ينطوي على كل مقومات الرابطة القومية التي ذكرتها

ينطوي الإسلام على مقوّم (اللغة)

فاللغة العربية هي لغة القرآن والحديث والإسلام يجمع الناس بها وعليها .

أتى القرآن فأتم الوحدة اللغوية حتى بين العرب أنفسهم و لم تكن مكتملة من قبل . ولخدمة القرآن نشأت علـــوم العربية المختلفة ؛ النحو والصرف والبلاغة .. وبالإسلام تطورت العربية وتقدمت وازدهرت ، ولولا الإسلام لبقيـــت العربية كالسريانية والكلدانية والعبرانية من اللغات السامية التي بقيت متأخرة إذ العربية واللغات السامية أخوات ترجع إلى اشتقاق واحد .

وبعد أن تجزأت أمتنا إلى وحدات سياسية متفرقة بقي القرآن هو الحافظ لوحدتها اللغوية .

ولما طغت العامية وقام دعاتها يدعون إليها في كل مكان حدّ الإسلام طغيانها وتصدى المؤمنون لـــدعاتها فـــردوا كيدهم وبذلك حفظت الفصحى .

ثم قال الأخ عصام : إنّ الإسلام يوجب على المسلم تعلم العربية ، يقول ابن تيمية :

تعلّم العربية واجب لأن فهم القرآن واجب ، وهو لا يتم إلاّ بالعربية وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب .

والمسلم أشد الناس اتقاناً للعربية واستمساكاً بها لأنه يقرؤها قرآناً ويسمعها حديثاً وخطباً ودروساً ، ويحبها حبه لدينه ويحافظ عليها محافظته عليه ويعتقد بأن ضياع العربية ضياع الإسلام والانتقاص منها انتقاص منه ..

هكذا ينطوي الإسلام كما رأيتم على الرابطة اللغوية ، بل إنّ هذه الرابطة أقوى بين أبنائه مما هـــي عليـــه بـــين غيرهم .

وينطوي الإسلام على مقوّم (التاريخ)

والتاريخ المقصود هنا هو التاريخ الذي تلتقي فيه عواطف الأمة فتتحد ويهزها ويحفزها ويحركها ..

التاريخ قسمان : حيّ وميّت .. والتاريخ الحي هو الذي يعدّ مقوّماً للوحدة .

فما التاريخ الحي عندنا ؟ هل هو تاريخ (زينون) و(نبوخذ نصر) و(حمورابي) و(رعمسيس) ؟! .. أم هو تـــاريخ محمد صلى الله عليه وسلّم وتاريخ الإسلام الذي فتح القلوب والعقول وفتح الدنيا للنور والحق والعدل والخير ..

إذا كان الأمر كذلك فمن هو أوثق صلة بهذا التاريخ من المسلمين ؟ ومن هم الذين تتوحد فيه مشاعرهم وتتـــأثر به حياتهم أكثر من المسلمين ؟ ومن أشد ولاء لتاريخ محمد وأبي بكر وعمر وعلي وأبي عبيدة ولتاريخ الإسلام مـــن المسلمين ؟

الإسلام ينطوي إذن على الرابطة التاريخية ، وهي بين أبنائه أقوى مما هي عليه بين غيرهم ..

ورابط الدين حاصلة (بالطبع) في الإسلام بل الإسلام رابطة دينية .

ورابطة الإرادة المشتركة نتيجة من نتائج الإيمان بالإسلام .. إذا اتحدت نظرة الأمـــة إلى الكـــون والحيـــاة ، إذا اشتركت في الإيمان بالله وبما سنّ لها الله من نظام ، إذا التقت في العبادة وفي الأخلاق وفي الغاية فـــلا بـــد أن يريـــد أفرادها حياة مشتركة .

ثم قال الأخ عصام :

رأيتم أن الإسلام ينطوي على مقوّمات الرابطة القومية ويزيد عليها رابطة الإيمان ، وهي في نظرنا أقوى من سائر الروابط ، ويزيد عليها رابطة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الواحد ورابطة الحب العميق في الله

﴿ ... **لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** ... ﴾ [الأنفال : ٦٣]

هكذا –أيها الإخوة– نجد الرابطة الإسلاميّة أقوى من الرابطة القومية في ميزان البحث المجرد ، وهي عندنا أيضاً أقوى إيماناً واعتقادا ..

إننا –أيها الإخوة– نؤمن برب واحد هو الله ، ونتبع نبياً رسولاً هو محمد ، ونتوجه إلى مكان واحد هو الكعبة ، ونتمسك بلغة واحدة هي العربية ، وتعتزّ بتاريخ واحد هو تاريخ الإسلام ورجال مشتركين هم أبو بكر وعمر وعلي

وخالد وصلاح الدين ، ولنا مثل واحدة وأخلاق واحدة ونريد حياة واحدة ونظاماً واحداً وغاية واحدة .. فهــل في الروابط ما هو أقوى من هذه الرابطة ؟

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَــأَلَّفَ بَــيْنَ قُلُــوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّــهُ لَكُــمْ آيَاتِــهِ لَعَلَّكُــمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٣]